الحديث الحادى عشر

عن أبى محمد الحسن بن على بن أبى طالب سبط رسول الله ﷺ وريحانته ــ رضى الله عنهما ــ قال : حفظت من رسول الله ﷺ : « **دع مَا يرِيبك إلى ما لا يرِيبُك**»رواه الترمذى والنسائى ، وقال الترمذى : حديث حسن صحيح.

سند الحديث :

هذا الحديث خرجه الإمام أحمد والترمذى والنسائى وابن حبان فى صحيحه والحاكم من حديث يزيد بن أبى مريم عن أبى الجوزاء عن الحسن بن على وصحّحه الترمذى ، وأبو الجوزاء السعدى ، قال الأكثرون : اسمه ربيعة بن شيبان ، ووثقه النسائى وابن حبّان ، وتوقّف أحمد فى أن أبا الجوزاء اسمه ربيعة بن شيبان، ومال إلى التفرقة بينهما،وقال الجوزجانى:أبـو الجوزاء مجهول لا يعرف ، وهذا الحديث قطعة من حديث طويل ذكر فيه قنوت الوتر ، وعند الترمذى وغيره زيادة فى هذا الحديث وهى : « فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة »، ولفظ ابن حبّان : « فإن الخير طمأنينة وإن الشرّ ريبة » . وقد خرجه الإمام أحمد بإسناد فيه جهالة عن أنس عن النبى ﷺ قال: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » ، وخرجه من وجه آخر أجود منه موقوفا على أنس ، وخرجه الطبرانى من رواية مالك عن نافع عن ابن عمر مرفوعا ، قال الدارقطنى: وإنما يروى هذا من قول ابن عمر وعن عمر ، ويروى عن مالك من قوله . ا.هـ .

ترجمة الراوى :

هو الحسن ابن الإمام على ــ رضى الله عنهما ــ المكنىّ بأبى محمد ولد فى

سبط : ولد الولد ، وتعنى أيضا الجماعة ، بمعنى أن الحسن رضى الله عنه فى أخلاقه وإيمانه وصلاحه كالجماعة؛ لقول الحق سبحانه : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا ﴾.

وريحانته لشدة محبته ﷺ له فقد كان يشمه كما يشم الريحان ذا الرائحة الطيبة ، فعن أنس رضى الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ : أى أهل بيتك أحبّ إليك ؟ قال : « الحسن والحسين ». وكان يقول لفاطمة: « ادعى ابنىّ » فيشمهما ويضمهما إليه .

حفظت : أى هذا من بين ما حفظته من أقوال الرسول ﷺ ولا زلت واعيًا له .

دع : اترك واجتنب .

مايريبك : يقال :رابه الأمر يريبه ، إذا أوقعه فى الشك . فهو من الثلاثى بفتح الياء فى المضارع ، أفصح من ضمّها من أرَاب الرباعى .

رمضان سنة ثلاث من الهجرة ومات بالمدينة مسمُومًا سنة خمسين عن عمرٍ يناهز سبعًا وأربعين سنة .

ومن مناقبه ما روى عن أبى بكرة رضى الله عنه قال : سمعت النبىّ ﷺ على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ، ويقول : « ابنى هذا سيّد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين » (١) ، وعن البراء رضى الله عنه قال : رأيت النبى ﷺ والحسن على عاتقه يقول : « اللهم إنّى أحبّه فأحبّه » (٢) ، وعن عقبة بن الحارث رضى الله عنه قال : رأيت أبا بكر رضى الله عنه وهو يحمل الحسن ويقول : بأبى شبيه بالنبىّ ليس شبيها بعلىّ ، وعلى يضحك (٣) .

دروس وعبر من كلام سيد البشر

الاجتماعية :

أ ــ من خلال الأحاديث السابقة فى ترجمة الراوى ، بل وانطلاقا مما ورد فى الرواية ــ سبط رسول الله ﷺ وريحانته ــ بالتحديد يتبين لنا مقام الحسن رضى الله عنه عند جده ﷺ ، وهو بهذا يبطل قاعدة جاهلية وينسخ عرفا باطلا حيث كان العرب الأوائل فوق احتقارهم للبنت وإهانتهم لها ، يتجاهلون فلذات أكبادها ولا يقربونهم ، وقد قال قائلهم:

أبناؤنا بنونا وبنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد

ب ــ كما أن هذا الحديث يعد قاعدة أساسية فى المعاملات الاجتماعية بل والاقتصادية أيضا ؛ فمن ارتاب فى شخص أراد مصاهرته أو مداينته، فالأسلم له أن يترك ما يريبه من معاملته إلى ما لا يريبه وهكذا .

السياسية :

على الحاكم المسلم أن يتفّطن إلى استدراجات الأعداء لإيقاعه فى بعض الأحكام أو القرارات أو التصرفات والمواقف التى تثير عليه شكوك الرعية،وعليه أن يكون واضحا فى كل أعماله مع من يحكم حتى لا يتّخذ المناوئون من بعض الإشكالات حجة عليه ثم على الإسلام من بعده؛ فهذا سيّد شباب الجنة،الحسن بن على رضى الله عنه يتنازل عن الخلافة رغم قربه من النّبى ﷺ وجدارته بها لمعاوية رضى الله عنه،ومع أنه بويع من قبل أربعين ألفا من المسلمين، ومع هذا كله تنازل عنها لمعاوية كما قلت: حقنا

(١)رواه البخارى والترمذى ولفظه : « إن ابنى هذا سيد يصلح الله على يديه فئتين عظيمتين ».
(٢)رواه الشيخان والترمذى . (٣)رواه البخارى .

لدماء المسلمين وجمعا للكلمة ودفعا للفتنة، ولو لم يفعل ذلك الورع ما فعل لوقع ما لا تحمد عقباه ولقيل عنه يوم ذاك: إن هو إلا رجل محبّ للحكم مهما كانت النتائج.

فقه الدعوة

١ ــ إن العبرة ليست بكمية الحفظ ولو كانت آلاف الأحاديث المؤلفة وعشرات السور القرآنية ، ولكنها بمدى التطبيق وترجمتها إلى لغة العمل فى الحياة اليومية . وربما انطبق المثل القرآنى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة : ٥] على بعض الدكاترة المعاصرين .

٢ ــ إن دعوتنا ــ أيها الإخوة ــ ليست لاعتلاء عرش أو امتلاك مقعد ؛ لأننا بعنا أنفسنا وما ملكنا لله ــ عز وجلّ ــ ولسنا طلاب جاه ولا عبّاد مال ، ولسنا ندعو أكثر من تجديد فهم الدين الحنيف وتحكيم سلطانه القويم على جميع مجالات حياتنا الاقتصادية ، والتربوية، والسياسية ، والثقافية والاجتماعية . ولسنا نبالى أن يكون هذا الزعيم أو ذاك هو نفسه الحاكم ، المهم أن يعلن توبته فيحتكم إلى المنهج الربّانى ويعلن توبته أيضا من الولاء للأعداء ونلمس حقيقة صدقه وإخلاصه ، وليكن فى موقف الإمام الحسن رضى الله عنه إبان الخلافات السياسية خير مثال نتأسّى به فى دعوتنا ، ووالله ما جرّ الويلات الجسام من شنق وتشريد وقتل وتعذيب وتمثيل بشباب الدعوة الإسلامية المعاصرة ، إلا تطلع بعض الأكابر الشخصى وشبقهم المادى .

نحن لا نشكك فى قيادات الحركة الإسلامية ــ حاشا لله ــ فهذا معول طالما عوّل عليه الأعداء ، ولكن لا يعنى أبدًا أنه على جماهير الأمة أن تنقاد بطواعية عمياء دون التأكد من النوايا والتعرف على الطوايا من خلال الالتزامات والتصرفات ، أو حتى بعض التلميحات بله عن التصريحات . . وهذا جانب من حوار أجرته مجلة الوطن العربى فى عددها ١٤١ الصادر بتاريخ ١٩٨٩/١١/٢٤م مع أحد أبرز الفائزين من الحركة الإسلامية فى معركة الانتخابات فى معركة بالأردن كفيل ببيان صحة ما أقول حيث سئل الرجل : قيل لى : إنه ربما يكون هناك بداية أزمة دستورية إذ أن الإسلاميين قد يرفضون أداء القسم النيابى الذى نص عليه القانون ، لأنهم يعتبرون أن الولاء هو للّه وحده.

فأجاب ــ وبنبرة هادئة ــ : يا أخى الكريم ، الحركة الإسلامية اجتمعت وقررت بإجماع النواب أن تقسم اليمين الدستورى كما ورد ــ وبنبرة شديدة ــ هذه إشاعات مغرضة ومسمومة مثلها مثل الشائعات التى تقول : إننا سنقفل الخمارات وإننا سنلبس النساء الطرحات ، وإننا سنلبس الناس النظارات . . . هل نحن جئنا من غابة ؟ نحن أناس حضاريّون ونقدّر مسؤوليتنا تجاه بلدنا وحكمنا ونظامنا ! ما هذه الحملة المسعورة ؟

وأنت لست الوحيد من طرح علىّ هذا السؤال ، سبقك هذا الصباح أربعة أو خمسة أشخاص بالنغمة نفسها . كيف لا نؤدى القسم الدستورى ونحن ترشحنا فى ظل أوضاع دستورية ونيابية نفهمها ؟ لا أساس بتاتا لهذه الشائعة وسنؤدى القسم كما ورد نحن جميعا نواب الحركة الإسلامية . هذه تعليقات خطيرة جدا تحتسب على الرجل وجماعته إن التزمت الصحيفة المذكورة بالصدق والأمانة ، والعهدة عليها .

لقد استغل البعض ممن لا علم لهم ولا فهم صدق هذا الراعى الصاحى وحرارة عاطفته الإيمانية فى جهات من أوطاننا الإسلامية ، فهؤلاء قادة الجناح (كذا) ينعمون بالفرش والأرائك والسيارات والدولارات البترولية . وهذه الآلاف من الأزهار اليانعة تحصد عن بكرة أبيها ، وقد طاف عليها طائف من الطائفية الحاقدة ، فإلى متى ونحن نلدغ من هذا الجحر !! إنا لله وإنا إليه راجعون .

٣ ــ الداعى حينما يختار رأيا فقهيا ما يخالف رأى المذهب المتبع دون أن يشرح وجهة الخلاف يعرض نفسه للريبة ، كأن يصلى تحية المسجد حال خطبة الجمعة مع مالكيين مثلا . . . ومن ثم يفقد مكانته وقدره عند العامة .

تطبيق

١ ــ إننا نرى فى أيامنا من لا يتورّع عن الاختلاء بالأجنبية ولا يتحرج أن يجلس معها فى مكتب واحد أو فى أى مكان آخر بحجة الاستفتاء مثلا ، أو التعلّم والتفقه ، فذلك مدعاة إلى إثارة الشكوك والظنون .

٢ ــ يشيع فى أوساط الطلاب المسلمين بالجامعات الغربية قول المتقولين على الله بحلية أكل اللحوم المقدّمة باعتبار عدم الاستفسار ، وهذا فى اعتقادى ليس من الفقه فى شىء؛ لأن الطريقة المتبعة اليوم فى الذبح لا توافق أحكام الزكاة فى الشريعة الإسلامية، وليست هى من ذبائح أهل الكتاب .

الحديث الثانى عشر

عن أبى هريرة ــ رضى الله تعالى عنه ــ قال : قال رسول الله صلى اللّه عليه وآله وسلم: « **من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه** » . حديث حسن ، رواه الترمذى وغيره هكذا .

سند الحديث :

هذا الحديث خرجه الترمذى وابن ماجه من رواية الأوزاعى عن قرة بن عبد الرحمن عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة ــ رضى الله عنهم ــ وقال الترمذى: غريب، وقد حسّنه الشيخ المصنّف ــ رحمه الله؛ لأن رجال إسناده ثقات، وقرة بن عبد الرحمن ابن حيوة وثقه قوم وضعّفه آخرون . وقال ابن عبد البر : هذا الحديث محفوظ عن الزهرى بهذا الإسناد من رواية الثقات ، وهذا موافق لتحسين الشيخ له رضى الله عنه ، وأما أكثر الأئمة فقالوا : ليس هو محفوظا بهذا الإسناد إنما هو محفوظ عن الزهرى عن علىّ بن حسين عن النبى ﷺ مرسلا ، كذلك رواه الثّقات عن الزهرى منهم مالك فى (الموطأ)، ويونس ومعمر وإبراهيم بن سعد إلا أنه قال: « من إيمان المرء تركه ما لا يعنيه » ، وممن قال : إنه لا يصح إلا عن علىّ بن حسين مرسلا الإمام أحمد ويحيى ابن معين والبخارى والدّارقطنى، وقد خلط الضعف فى إسناده على الزهرى تخليطا فاحشا ، والصحيح فيه المرسل ، ورواه عبد الله بن عمرو العمرى عن الزهرى عن علىّ بن حسين عن أبيه عن النبى ﷺ فوصله وجعله من مسند الحسين بن علىّ ، وخرّجه الإمام أحمد فى مسنده من هذا الوجه، والعمرى ليس بالحافظ. وخرجه أيضا، من وجه آخر عن الحسين عن النبىّ ﷺ ، وضعفه البخارى فى (تاريخه) من هذا الوجه أيضا وقال: لا يصحّ إلا عن علىّ بن حسين مرسلا، وقد روى عن النبىّ ﷺ من وجوه أخر وكلها ضعيفة .

ترجمة الراوى :

هو سيّدنا عبد الرحمن بن صخر رضى الله عنه موسوعة السنة النبوية الشريفة ،

من : للتبعيض لأن ترك ما لا يعنى ليس كل خصال الإسلام الحسن بل هو بعضها فقط .
من حسن : ولم يقل : من إسلام المرء ؛ لأن ترك ما لا يعنى لا يتوقف عليه أصل الإسلام بل هو من حسنه .
إسلام : ولم يقل : إيمان ؛ لأن الإسلام أعمال ظاهرية والإيمان عمل القلب .

قال: كنت أدعو أمى إلى الإسلام وهى مشركة، فدعوتها يوما فأسمعتنى فى رسول الله ﷺ ما أكره ، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكى، قلت: يا رسول اللّه ، كنت أدعو أمّى إلى الإسلام فتأبى علىّ، فدعوتها اليوم فأسمعتنى فيك ما أكره فادع الله أن يهديها، فقال: «اللهمّ اهد أم أبى هريرة» فخرجت مستبشرا بدعوة نبىّ الله ﷺ، فلما جئت الباب فسمعت أمى خشف قدمى فقالت: مكانك يا أبا هريرة وسمعت خضخضة الماء قال: فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها ففتحت الباب ثم قالت: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، فرجعت إلى النبى ﷺ وأنا أبكى من الفرح، قلت: يا رسول الله أبشرْ قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبى هريرة، فحمد الله وأثنى عليه وقال خيرا ، قلت : يا رسول الله ، ادع الله أن يحببنى أنا وأمى إلى عباده المؤمنين ويحبّبهم إلينا ، قال : « اللهم حبب عبيدك هذا وأمه إلى عبادك المؤمنين وحبّب إليهم المؤمنين » ، فما خلق مؤمن يسمع بى ولا يرانى إلا أحبّنى .

دروس وعبر من كلام سيّد البشر

الاجتماعية :

إن اشتغال المرء بما لا يعنيه ــ لا فى حاله ولا فى مآله ــ من عيوب الناس والخوض فى أمورهم الشخصية الخاصة بهم ، وكشف معايبهم ، وتتبّع عوراتهم يسبّب التخاصم والتشاجر ، وقطع العلاقات الاجتماعية أو توترها . وقديما قالوا : من تدخّل فيما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه. وحتى لا يقع كل ذلك يدعونا النبى ﷺ إلى الإعراض عما لا يعنينا بتاتا، والاهتمام بما تتعلق به عناية الشرع. ففى صحيح ابن حبان عن أبى ذر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : «كان فى صحف إبراهيم عليه الصلاة والسلام: وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله أن تكون له ساعات : ساعة يناجى فيها ربّه ،وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يتفكّر فيها فى صنع الله تعالى ، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب ، وعلى العاقل ألا يكون ظاعنا[1] إلا لثلاث : تزوّد لمعاد، أو حرفة لمعاش، أو لذة فى غير محرم، وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شأنه حافظا للسانه ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه».

وعن أنس رضى الله عنه قال : توفى رجل من أصحابه ــ يعنى النبىّ ﷺ ــ فقال رجل : أبشر بالجنّة ، فقال رسول الله ﷺ : « أو لا تدرى فلعله تكلّم بما لا يعنيه أو بخل بما لا يغنيه»[2] .

---

(١) ظاعنا : ساعيا .

(٢) أخرجه الترمذى .

الأخلاقية :

إن الإسلام ــ كدين ــ يولى الجانب الأخلاقى عناية تامة ، بل تقوم أحكامه كلها على رعاية الأخلاق والمحافظة عليها ، والفضول وحبّ التدخّل فى كل شىء يهدر ماء الوجه ويقلّل من قيمة الإنسان الأخلاقية ويحط من كرامته كإنسان فى مجتمعه .

النفسية :

إن ترك ما لا يعنى يمكننا من راحة نفسية تامّة بحيث ننام ونحن نتمتّع باطمئنان تام، ونأكل ونشرب بانشراح وحيوية فى حين أن الفضولى المتطلع إلى ما لا يعنيه من قريب أو بعيد يعيش فى قلق دائم، وحيرة قاتلة، واستفسارات رهيبة لا يجد لها جوابا: ترى ما سرّ علاقة فلان الفلانى بفلان ؟ وما هى ظروف فلان الزوجية والمالية ؟ ومن أين اكتسب هذه الأموال ؟ وما سر هذا السّرور البادى على وجه فلان هذا اليوم . . . وهكذا طبعا ولن يجد لتساؤلاته أجوبة شافية

الاقتصادية :

يحث هذا الحديث النبوى الشريف على بذل الجهد فى رفع الاقتصاد الإسلامى وذلك باستثمار عنصرين رئيسيين :

١ ــ الطاقة البشرية : فينبغى ألا نضيع هذه الجهود فيما لا يعنى .

٢ ــ الوقت : ويجب استغلال دقائق الحياة المعدودة فيما يعود بالنفع على الشخص نفسه وعلى أبنائه وعياله ، ومن ثم على مجتمعه المحيط به .

فقه الدعوة

إن مهمّة الداعية هى التبليغ عن رسول الله ﷺ وإرشاد الناس وهدايتهم ونصحهم وتعليمهم وهى أمانة فى عنقه ، فهى مما يعنيه وعليه أن يربأ بنفسه عن مجالس الأندية والأسواق التى يخوض أصحابها مع الخائضين، اللهم إلا إذا جلس ناكرا ومبصرا وداعيا إلى الله .

الحديث الثالث عشر

عن أبى حمزة أنس بن مالك ــ رضى اللّه تعالى عنه ــ خادم رسول اللّه ﷺ عن النبى صلى اللّه عليه وآله وسلم قال: « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبّ لنفسه** » رواه البخارى ومسلم.

تخريج الحديث :

الحديث خرجاه فى الصحيحين من حديث قتادة عن أنس ولفظ مسلم: « حتّى يحب لجاره أو لأخيه » بالشك ، وخرجه الإمام أحمد ــ رحمه اللّه ــ ولفظه : « لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحبّ للناس ما يحبّ لنفسه من الخير » .

ترجمة الراوىُ :

هو أنس بن مالك الأنصارى من قبيلة الخزرج ، كناه النبى ﷺ « بأبى حمزة » وقيل: إن سبب تكنيته بذلك أنه كان يجنى بقلة تسمّى حمزة فرآه النبى ﷺ يجنيها فكنّاه بها ، خدم النبىّ ــ عليه السلام ــ عشر سنين فما سمع منه : أف مطلقا ، ولم يؤنّبه عن شىء فعله لم فعلته . ولا عن شىء تركه لم تركته .

توفىّ سنة تسعين هجرية بالبصرة ويعد آخر صحابى توفى بها ــ رحمة اللّه عليه ــ ومن مناقبه ما رواه هو عن نفسه ــ رضى اللّه عنه ــ حيث قال : دخل النبىّ ﷺ علينا وما هو إلا أنَا وأمى وأم حرام خالتى فقالت أمى : يا رسول اللّه خويدمك أنس ادع اللّه له، قال : فدعا لى بكل خير وكان فى آخر ما دعا به أن قال : « اللهم أكثر ماله وولَده وبارك له فيه» رواه مسلم .

وعنه قال : جاءت بى أمى إلى رسول اللّه ﷺ وقد أزرتنى بنصف خمارها وردّتنى بنصفه فقالت : يا رسول الله ، هذا أنيس ابنى أتيت به يخدمك فادع الله له ،

لا يؤمن أحدكم - المنفى هنا ليس هو الإيمان نفسه ؛ لأن أصل الإيمان هو التصديق باللّه تعالى . ولكن المنفى هو كمال الإيمان .

لأخيه المراد بالأخ هنا : إما فى الإسلام ، أو فى الإنسانية ، قال ابن العماد ــ رحمه اللّه ــ : الأولى أن يحمل على عموم الأخوة حتى يشمل الكافر والمسلم ، فيحب للكافر ما يحب لنفسه من دخوله فى الإسلام وهدايته !

obeikandi.com

فقال: « اللهم أكثر ماله وولده » . قال : أنس : فوالله إنّ مالى لكثير وإن ولدى وولدَ ولدى ليتعادّون على نحو المائة اليوم .

وعنه قال : مرّ رسول اللّه ﷺ فسمعتْ أمّى أم سليم صوتَه فقالت : بأبى وأمّى يا رسول اللّه ، هذا أنيس فدعا لى رسول اللّه ﷺ ثلاث دعوات قد رأيت منها اثنتين فى الدنيا وأنا أرجو الثالثة فى الآخرة .

وعنه قال : أتى علىّ رسول اللّه ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان فسلّم علينا فبعثنى إلى حاجة فأبطأت على أمّى ، فلما جئت قالت : ماحَبَسك ؟ قلت : بعثنى رسول اللّه ﷺ لحاجة قالت : ما حاجته ؟ قلت : إنها سرّ ، قالت : لا تحدّثنّ بسرّ رسول اللّه ﷺ أحدا ، قال أنس: واللّه لو حدثت به أحدا لحدثتك يا ثابت .

وعن ثابت رضى اللّه عنه قال : قال لى أنس : يا ثابت خذ عنّى فإنك لن تأخذ عن أحد أوثق منى ، إنّى أخذته عن رسول اللّه ﷺ عن جبريل وأخذه جبريل عن الله تعالى. رواه الترمذى .

دروس وعبر من كلام سيد البشر

الحبّ هنا ليس عواطف جياشة فحسب ، بل مبادرة خيرية تبرهن على صدق المحبّ فى محبّته ولنا فى هذا الحديث فوائد جمة .

العقائدية :

المنفى هنا ــ فى الحديث ــ كمال الإيمان . ونفى بلوغ حقيقته ونهايته ؛ لأن الإيمان درجات متفاوتة كما بيّن الرسول ﷺ فى أحاديث مختلفة أنه « بضع وستون شعبة أعلاها لا إله إلا اللّه ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق » .

الاجتماعية :

أ ــ عالمية الإسلام : فالإسلام ليس دينا قبليّا أوطائفيا أو عرقيا بل هو ممتدّ امتداد الوجود الإنسانى على هذا الكون ،فلا تحدّه حدود جغرافية ، ولا تمنعه عوائق لغوية أو مذهبية أو أرضية ؛لأنه يخاطب الإنسانية من حيث هى ويؤاخى بين أفرادها بإبراز مميزاتها ؟ المشتركة وخصائصها العامة ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ [الحجرات : ١٣] ، وقال أيضا : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [النساء : ١] ، وجاء فى الحديث: «كلكم لآدم وآدم من تراب » .

حبّ الخير للإنسانية كلها : والخير اسم جامع للطاعات والمباحات الدنيوية منها والأخروية ؛ فالمؤمن يحب لنفسه الصحة الجيدة والمال الطيب ويحبهما لإخوانه فى الإنسانية ، بدليل كفّ يده عن أكل أموالهم بالباطل ، وعدم حسدهم وكف بصره عن أعراضهم ولسانه عن غيبتهم .

ويحب أن يكون يوم القيامة من السعداء ، ولا سعادة إلا لأهل الإيمان الصادق والعمل الصالح .

لهذا يسعى دوما لإرشاد البشرية وهدايتها لسبل الفوز بالجنة ، والنجاة من النار ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، وربّما كلفه الأمر التضحية بكل ما يملك حتى بالنفس إن اقتضى الأمر .

قال بعض الصالحين من السلف : أهل المحبّة للّه نظروا بنور اللّه وعطفوا على أهل معاصى اللّه ، مقتوا أعمالهم وعطفوا عليهم ليزيلوهم بالمواعظ عن أفعالهم ، وأشفقوا على أبدانهم من النار .

إن الإسلام لا يرضى أن يكون المسلم فى مجتمعه عضوا سلبيّا لا يقدّم أى شىء إيجابى للجماعة التى يتعايش معها ، ولكن إن كان ولا بد فعليه أن يكفّ عن الناس شروره ويمنعهم مصائبه.

النفسية :

العامل بهذا الحديث النبوى تنبعث فيه الملكات الخيرية بحيوية ونشاط لتقف لنوازع الشر بالمرصاد،وتحارب فى النفس الإنسانية الأنانية المستحكمة وساعتها لا يعيش لنفسه، ولا يحيا لنفسه ، ولايعمل ويكد من أجل نفسه فحسب !

السياسية :

كما أن المسلم يحب العيش فى أمن وسلام ويعمل على تحقيق ذلك للبشرية جمعاء ، وهو بذلك يجسد أسمى تعاليم دينه الحنيف .

أما أولئك الذين يدعون الرحمة والعطف على صغار الحيوان ، فإننا نجدهم فى المقابل يسعون إلى إشعال فتيل الحرب ، ويتبارون فى صنع أخطر سلاح ، وأقواه وأسرعه فى الإبادة وأكثره فتكا .

ومن قبيل المحبة للإخوان مثل المحبة للنفس بل ومن أروعها ما ورد فى صحيح مسلم عن أبى ذر رضى اللّه عنه قال: قال لى رسول اللّه ﷺ: «يا أبا ذر إنى أراك ضعيفا وإنى أحبّ لك ما أحب لنفسى لا تتأمرن على اثنين ولا تولّين مال يتيم».

الاقتصادية :

لقد نفى الرسول ﷺ الإيمان عمن نـام شبعان وجـاره جـائـع ؛ لأن المؤمن الحقيقى لا يحب أن يفتك الجوع بإخوانه؛لأنه لا يحبه لنفسه ، بل إن المسلم فى العهود النيّرة كان يؤثر أخاه على نفسه ، ويقدم له اللقيمات التى هو فى أشد الحاجة إليها .

إن خلق الإيثار يـاهم فى انتعاش الاقتصاد المتدهْور للمجتمع!

وفى المقابل نجد الآلاف المؤلفة من أطنان المواد الغذائية الرئيسية فى البلاد الغربية ترمى فى البحار وتتلف كل المنتجات الفائضة عن حاجة البلد المنتج نفسه ، وغير خفى عليها تلك الإحصائيات الدورية المهولة والتى يذهب فيها الملايين ضحايا الجوع والمرض فى الدول النامية الأفريقية والأسيوية .

وهذه دويلات البشم البترولى تودع فى بنوك الغرب ما يفوق ديون العالم العربى ثلاثة أضعاف .

إذا كان هذا فى المسلمين فما على أعداء الدين من سبيل .

فقه الدعوة

١ ــ الإسلام عربى اللغة عالمى المبادئ والأفكار . فلا تقتصر الدعـوة على طائفة معينة، ولا تنحصر فى جماعة محددة ، يصدق هذا قول الحق سبحانه: ﴿ حمٓ . تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [فصلت : ١ ــ ٣] ، و﴿حمٓ . وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ . إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[الزخرف : ١ ــ ٣] ، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ١] .

ولعل اجتماع الثلاثى الأول: بلال الحبشى ، وسلمان الفارسى ، وصهيب الرومى فى المدينة المنورة ، وتحت راية الإسلام رغم تباين ألوانهم ــ أسود وأصفر ، وأشقر ــ واختلاف ألسنتهم . نعم ، شتان بين الحبشية ، والفارسية ، والرومية .

فقد قيل : إن بلالا حينما أسلم قال فى رسول اللّه ﷺ بيتا بلغته :

أَرَهْ بَرَهْ كَنْكَرَهْ كَرَاكِرىَ مَنْدَرَه

ثم عَرَّبَهَا بقوله :

إذا المكارم فى أحيائنا ذكرت فإنما بك فينا يضرب المثل

إذًا هناك اختلاف حضارىّ كبير وانصهار هذه الحضارات فى حضارة الإسلام دليل

قاطع على عالمية الإسلام الذى جمع بين أفراد قارات العالم المعروفة فى ذلك الحين .

٢ ـ على صاحب الدعوة أن يركز فى دعوته على جانبين أساسيين هما :

أ ـ الجانب العقائدى : باعتباره القاعدة التى يبنى عليها كل ما عداها .

ب ـ الجانب الاجتماعى والأخلاقى ؛لأنه الجانب الذى يستمد وجوده ومصداقيته السابق ، لأن أى أخلاق بلا عقيدة كفروع بلا جذوع ، وأن أى عقيدة بلا أخلاق كشجرة بلا ثمار .

تطبيق

يكاد ينعدم تحقيق مفهوم الأخوة الإنسانية بله عن الإسلامية فى عصر أنهكت فيه المادة كل الروابط .

كما استفحل داء الأنانية المتسلطة ، وطغى حبّ الذات ممّا سبّب ويسبب اندلاع الحروب المدمرة والنزعات المُخَلِّفة للآلاف من الضحايا والتى يرفع أصحابها شعار(أنا ثم الطوفان) !

obeikandl.com

الحديث الرابع عشر

عن ابن مسعود ــ رضى اللّه تعالى عنه ــ قال : قال رسول اللّه ﷺ « **لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثيّب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة** » رواه البخارى ومسلم .

ترجمة الراوى :

هو أبو عبد الرحمن عبد اللّه بن مسعود رضى اللّه عنه ابن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس ، يجتمع مع النبىّ ﷺ فى مدركة فليس من قريش ، وأمّه هذلية من فخذ أبيه .

ولقد هاجر ابن مسعود الهجرتين وصلى إلى القبلتين ، وكان نحيفا قصيرا لدرجة أن طوله لايزيد على جلوس الرجل الطويل ، توفى ــ رحمه اللّه ــ عام اثنين وثلاثين من الهجرة عن عمر يناهز بضعا وستين سنة، ودفن بالبقيع وصلى عليه عثمان ــ رضى اللّه عنه وأرضاه .

دروس وعبر من كلام سيد البشر

العقائدية :

١ــ فى هذا الحديث الشريف دليل آخرعلى أن الإيمان تصديق بالقلب وعمل بالجوارح ، حيث إن الحديث السابق دلّ على أن دم الرجل وماله إنما يعصمهما بقول: لاإله إلا اللّه ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، ثم ذكر فى هذا الحديث أن دم المسلم يحل بالزنا بالنسبة للمحصن ، والقتل والردّة ، إذًا فلا إله إلا اللّه تقتضى تحريم ما حرم اللّه وتحليل ما أحل اللّه سبحانه؛ لأن هذه الثلاث من حق الإسلام التى يستباح بها دم

لا يحل : نفى الحل يفيد الحرمة وهو صيغة من صيغ التحريم .

دم : أى إراقة دم امرئ مسلم . والمراد بإراقة الدم إزهاق الروح .

الثيب : هو المحصّن ، ويكون المرء محصنا إذا توفرت فيه الشروط التالية: أن يكون بالغا ، عاقلا ، تحقق منه الوطء فى نكاح صحيح .

التارك لدينه : المرتد الخارج عن دين الإسلام .

من شهد أن لا إله إلا اللّه ، وأن محمدا رسول اللّه ، والقتل بكل واحدة من هذه الخصال المذكورة متفق عليه بين المسلمين .

٢ ــ ترك الدين أى ترك الإسلام والارْتداد عنه ومفارقة جماعة المسلمين، والمرتد يقتل كفرا لا حدا ، وتكون الردة من المسلم بالقول الصريح كأن يقول : هو مشرك ، أو يهودى. . . أو كافر باللّه وبرسوله أو استحل حراما ثبتت حرمته كالزنا ، الخمر ، قتل النفس ، أوحرم حلالا، أو جحد وجوب ما علم من الدين ضرورة كوجوب الصلاة ، والصوم .... أوسب نبيا مجمعا على نبوّته ، قال الشيخ اللقانى فى جوهرته :

ومن لمعلوم ضرورة جحد ... من ديننا يقتل كفرا ليس حدًا

ومثل هذا من نفى لمجمع ... أو استباح كالزنا فلتسمع

وتكون الردة بالفعل المتضمن لها كرمى المصحف الشريف فى مكان مستقذر ، وحكم المرتد يقتل بعد أن يستتاب ثلاثة أيام من غير ضرب ولا تجويع ... فإن تاب فيها فبها وإلا قتل بعد غروب شمس اليوم الثالث ، وسيأتى ذكر أحكام المرتد من دفن وميراث وأهلية فى الحديث السادس عشر [١] .

الفقهية :

القصاص : أجمع المسلمون على أن من قتل مسلما عمدا فقد استحق القصاص وهو القتل ، قال اللّه تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾[المائدة : ٤٥] ، وذلك حتى يأمن الناس على حياتهم، قال اللّه تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ﴾[البقرة : ١٧٩] ،ويقتل المكلف إذا قتل نفسا بغيرحقّ عمدا سواء كان القاتل أو المقتول ذكرا أم أنثى ، لما ورد فى كتاب عمرو بن حزم عن النبىّ ﷺ : « إن الرجل يقتل بالمرأة » وصح أنه ﷺ قتل يهوديا قتل جارية، ويسقط القصاص إذا عفا أولياء المقتول .

وأجمعوا على وجوب القصاص إذا كان القاتل والمقتول كافرين واختلفوا فيما إذا كان المقتول كافرا غير حربى ، كالذّمى والمستأمن ، فذهب قوم ــ منهم الحنفية ــ إلى وجوب القصاص عملا بعموم قوله تعالى : ﴿ أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ [المائدة : ٤٥] ، وقوله ﷺ : « النفس بالنفس » .

---

(١) انظر صفحة ١١١ .

وذهب آخرون ــ منهم الشافعية والحنابلة والمالكية ــ إلى أنه لا يقتص من المسلم بالكافر مطلقا، واحتجوا بما رواه البخارى وغيره من قوله ﷺ: «لا يقتل مسلم بكافر» واعتبروا هذا الحديث مخصّصا لغيره من العموميات الواردة فى قتل النفس بالنفس.

وذهب جمهور الفقهاء إلى أن الوالد لا يقتل بقتل ولده ، وصح ذلك عن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه . ا .هـ . من كتاب الوافى فى شرح الأربعين النووية للدكتور مصطفى البغا ، ومحيى الدين ميستو .

القانونية :

حقا لقد شرع الإسلام عقوبة القتل للزانى المحصن وللقاتل المتعمّد ما فى ذلك شك.

ولكنه فى الواقع أناط عقوبة الزنا بإقرار الزانى نفسه فى حال الاختيار دون قهر أو اضطرار ، فإذا لم يقرّ بلسانه فإنه من المتعذر إن لم نقل : من المستحيل إثبات الزنا عليه بالبينة. والبينة لا تثبت إلابشهادة أربعة شهود عدول يرون عملية الاقتراف رأى العين .

ومن يتتبّع حالات الرجم فى عهد النبى ﷺ يجد أن الحد وقع دوما بالاعتراف شأن ماعز والغامدية ــ رضى اللّه عنهما .

وتمت مراجعتهم من قبل رسول اللّه ﷺ أثناء اعترافهم مرات ومرّات : « لعلك قبّلت... لعلك .. لعلك .. » بحثا عن شبهة يَدْرأ بها الحد .

إذا فعقوبة الزنا ــ فى الحقيقة ــ ليست هدفا فى ذاتها بل وسيلة لردع النفوس الجامحة التى تفلّتت من مكبح الوازع الإيمانى عن قربان هذه الفعلة الشنيعة ؛ ولهذا فإن جرائم الزنا فى عهده ﷺ ومن بعده صحابته تكاد تعدّ على رؤوس أصابع اليد الواحدة.

أما ما وصلت إليه اجتهادات المقننين المعاصرين من سجن أو تغريم هذا بالنسبة لحالات الاغتصاب ، أما الزّنا الذى يقع بتراضى الطرفين الراشدين ! فلا ينطبق عليه مصطلح (الزنا) فى عرفهم .. !

ولايسنّون ضده أى شىء بحجة احترام الحريات الشخصية .. !

ونفس الشىء فى القتل العمد الذى تذهب ضحيته المئات من الأرواح البريئة يوميا فى العالم ، وعلة ذلك القوانين الأرضية الجائرة والمشجعة والتى عجزت عن تحقيق العدالة فى الأرض !

إن ارتفاع أبناء الزنا المهول فى الغرب اليوم ، وكذا حوادث القتل والسطو

والاغتصاب . . والجرائم الشنيعة المقززة ينادى ضحاياها بلسان الحال وبلغة الأرقام : ألا سحقا للمدنية الزائفة . . . ولقوانينها المجحفة . . . وتبت أيدى المقنّنين المتألهين وليحكم فينا حكم أحكم الحاكمين .

الاجتماعية :

« النفس بالنفس » هكذا وردت النفس الثانية معرفه بـ « ال » ، وكما نعلم أن المعرفة إذا أعيدت معرفة كانت عينا، إذن فكأن المجرم القاتل قتل نفسه حينما قتل أخاه فى الإسلام، لذا فإنّ الندم يلازمه والحسرة تقتله، قال تعالى حكاية عن قابيل وهابيل: ﴿ **فطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ . فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ . مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا** ﴾ [المائدة: ٣٠ ـ ٣٢] .

الأخلاقية :

إن الإسلام حينما شرع قتل الزانى المحصن حكيم فى معالجته لأخطر مرض أخلاقى ـ الزّنا ـ وهو بذلك يقدّس الشرف ويحافظ على العرض ويصونه بحدود شتّى؛ كالجلد للقاذف وللزانى البكر ، ثم القتل للمحصن . ولم نر هذه الاحتياطات والتحريات فى أى نظام من هذه النظم القائمة اليوم ، أو حتى البائدة منها على الإطلاق؛ ولهذا فإن الإنسانية اليوم تجنى الويلات من اختلاط الأنساب ، وتفشى الأمراض السرّية الخطيرة : كالزهرى ، والسيلان ، والسيدا . . . و . . . واندثار الروابط الأسرية ، وتوتر العلاقات الاجتماعية فى الدول الغربية على الخصوص ، وانقشاع حجاب الحياء ، كل ذلك لأنها لم تلق بالا ، ولم تزن وزنا للأخلاق الحميدة .

فقه الدعوة

١ــ اتباع أسلوب الترهيب من الآثار المعجلة للمحرمات فى هذه الدنيا وبيان الأخطار الصحية والاجتماعية والنفسية المنجرة عن ذلك الفعل القبيح أولا ، والتخويف من العقوبات المقررة شرعا ثانيا ، ومن المصير الذى لا مناص منه يوم الحساب العسير ثالثا. هو أنجع علاج وأبلغ أسلوب فى الدعوة إلى الفضيلة ومحاربة الرذيلة .

٢ ــ والحكيم ـ بحق ـ فى التوضيح والتبيان هو الذى يضرب على وتر الواقع

الملموس الذى يعيشه المسلم اليوم فى ظل التشريع البشرى ، وبلغة الأرقام يدلّل على خطورة الوضع الذى آلت إليه الأمة الإسلامية اليوم من جراء بعدها عن شريعتها ونبذها لأحكام دينها كالقصاص ، وبصورة أشمل تحكيم كتاب اللّه ، ويدعو الأمة إلى العودة إليه .

تطبيق

١ ــ إن الدّم المسلم له حرمة أكبر ــ عند اللّه ــ من حرمة البيت الحرام ؛ لذا حدد الإسلام المواضع التى يهدر فيها دمه ، غير أنّنا نجدها فى كثير من مجتمعاتنا المعاصرة غير محدّدة ولامضبوطة ، فقائمة أسباب الإعدام طويلة طول أطماع الاستبداديّين .

٢ ــ ولمّا تخلّى الكثير من أولى الأمر عن الشريعة الإسلامية وربّما عن العقيدة نفسها تشجّع السّفهاء على محاربة الإسلام وإعلان ارتدادهم ومعارضتهم له أمام الملأ، ولو ظل الحال على ما هو عليه لاستبدلنا اللّه بأقوام آخرين . قال تعالى: ﴿ **إن تتولّوا يستبدل قوماً غيركم ثمّ لا يكونوا أمثالكم** ﴾ [محمد : ٣٨] .

٣ ــ التحكيم الادعائى المزيّف للجانب الجزائى فى القضاء الإسلامى من قبل حفنة من الحكام أساء إلى الإسلام إساءة خطيرة ، من حيث تجزئة الأحكام الشرعية : ﴿**أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلاّ خزيٌ في الحياة الدّنيا ويوم القيامة يردّون إلى أشدّ العذاب وما اللّه بغافلٍ عمّا تعملون** ﴾ [البقرة :٨٥] .

لأنها تكرّسُ عيْبا مشينا طالما سعى أعداء الدّين إلى إلحاقه به ، وهو عدم الشمولية، ولأنها اتخذت غطاء يستر به الأمراء الفجراء فسقهم ، ومن ثم فهى نافذة فى الرعية دون الراعى . . . وهذا السبب فى هلاك من سبقنا من الأمم كما أخبرنا عنهم نبينا ﷺ .

الحديث الخامس عشر

عن أبى هريرة ــ رضى اللّه تعالى عنه ــ أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم قال: «**من كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ، ومن كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فليكرم جاره ، ومن كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فليكرم ضيفه** » رواه البخارى ومسلم .

تخريج الحديث :

هذا الحديث خرّجاه من طرق عن أبى هريرة، وفى بعض ألفاظها: «فلا يؤذ جاره»، وفى بعض ألفاظها: « فليحسن قرى ضيفه »، وفى بعضها: « فليصل رحمه » بدل ذكر الجار ، وخرجاه أيضا بمعناه من حديث أبى شريح الخزاعى عن النبى ﷺ ، وقد روى هذا الحديث عن النبى ﷺ من حديث عائشة وابن مسعود وعبد اللّه ابن عمرو وأبى أيوب الأنصارى وابن عباس وغيرهم من الصحابة ــ رضى اللّه عنهم .

ترجمة الراوى :

سبق التعريف به فى الأحاديث : التاسع ، والعاشر ، والثانى عشر .

دروس وعبر من كلام سيد البشر

العقائدية :

إن الإيمان باللّه واليوم الآخر لا يتوقّف على مطلق التصديق ، بل يتعداه إلى العمل بمقتضى هذا الإيمان ، ومن أهم هذه المقتضيات التى يجب أن يجسّدها المؤمن فى حياته اليومية إمساك لسانه ، إنها الحقيقة التى يجب أن نؤكد عليها دوما، قال تعالى : ﴿ **مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيد** ﴾[ق : ١٨] .

وعن أبى هريرة رضى اللّه عنه ، عن رسول اللّه ﷺ قال :

من كان يؤمن : أى من كان يؤمن إيمانا كاملا ، أو هو محمول على المبالغة ، وذلك للحث على الاتصاف بتلك الصفات .

خيرا : الخير اسم جامع لما فيه نفع دينى أو دنيوى .

جاره : قيل : إن الجار هو من جاورت داره دارك إلى أربعين دار من كل جانب .

« إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقى لها بالا يرفع الله تعالى بها درجاته، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقى لها بالا يهوى بها فى جهنّم» (١) .

الفقهية :

الضيافة من شيم العرب الأقحاح، ومن آداب الإسلام ، وخلق النبيّين والصالحين، وقد ذكر الشيخ أحمد بن حجازى الفشنى فى شرحه للأربعين النووية تأويلات عدة لحديث يوجب الضيافة صدّر به حديثه فقال : وقد أوجب الضيافة ليلة واحدة الليث بن سعد رضى الله عنه ، عملا بقوله ﷺ : « ليلة الضيف حق واجب على كل مسلم» وحمله عامة الفقهاء على النّدب وأنها من مكارم الأخلاق ومحاسن الدين لقوله ﷺ فى الضيف وجائزته يوم وليلة ، والجائزة العطية والمنحة والصلة ، وذلك لا يكون إلا مع الاختيار وقل استعمالها فى الواجب ، ومما يدلّ على النّدب اقتران الأمر بها بالأمر بإكرام الجار ، وتأوّل بعضهم الأحاديث على أنها كانت فى أوّل الإسلام إذ كانت المواساة واجبة أو كان ذلك للمجاهدين فى أول الإسلام لقلة الأزواد، أو على التأكيد كقوله : «غسل الجمعة واجب » (٢) .

واختلف العلماء ــ رحمهم الله ــ فى الضيافة على من تجب : هل على سكان الحاضرة والبادية ؟ أم على أهل البوادى فحسب ؟

فذهب الإمامان ، الشافعى ، ومحمد بن الحكم إلى أنها على الحاضر والبادى .

وذهب مالك وسحنون إلى أنها على أهل البوادى ؛ لأن المسافر يجد فى الحاضر المنازل والفنادق ومواضع النزول وما يشترى من الأسواق (٣) .

الاجتماعية :

أ ــ إن الإنسان بطبيعته مدنىّ بالطبع لا تقوم حياته ولا تستقيم معيشته إلا بالتكافل الاجتماعى ، وها هو الإسلام نفسه الذى هو دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها يحث على احترام الجار ، ويعمل على تقوية الروابط الاجتماعية بين الجيران؛ ليكون مجتمعا متظافرًا متكاتفا متآلفا بغض النظر عن جنسية الجار أو دينه أو مذهبه ومعتقده لأنك إن لاطفته وعاملته معاملة الجار المسلم فإنه إن لم ينجذب لهذا الدّين الحنيف وينضمّ لجماعة المسلمين فسيمنع المجتمع الإسلامى شروره ودسائسه .

---

(١) رواه البخارى .

(٢) المجالس السنية فى علم الحديث، شرح الأربعين النووية لأحمد بن حجازى الفشنى ص ٤٥، ط: مصر.

(٣) هذه الأحكام أوردها الإمام النووى نفسه فى شرحه للأربعين ص ٤٤ ، ط : دار البعث ، الجزائر .

ب ــ وإذا أدرك المؤمن أنه بالكلمة الطيبة يصلح بين المتخاصمين ، ويقارب بين المتباعدين، وأن كلمته تلك تلتئم بها الجراح ، وسيجنى منها كل الفلاح ، فإنه لا يقول إلا خيرا ، ولا يطلق العنان للسانه حرّا طليقا ، بل يقيدّه بلجام التعقّل .

السياسية :

إذا كان الجار هو من جاورت داره دارك إلى أربعين دارا من جانب ، وكذلك من جاور حقله حقلك إلى أربعين حقلا من كل جانب ، ومن جاور متجره متجرك إلى أربعين متجرا من كل جانب أيضا.

وكذلك الجيرة بين الأقطار ومن تتاخم حدود بلده حدود بلدك ، قال تعالى لنبيّه عليه الصلاة والسّلام : ﴿ **ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قَلِيلاً** ﴾ [الأحزاب : ٦٠] وها هو الإسلام دين الأمن والسّلام يدعو إلَى صيانة الجار والحفاظ على شخصه وكرامته ومراعاة شعوره سواء أكان الجار مسلما أو يهوديا أو نصرانيّا فالجار هو الجار قال تعالى:

﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ**﴾ [النساء : ٣٦] .

وقال سبحانه : ﴿ **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ [الممتحنة : ٨] .

والمعاصى كلها شنيعة ولكنها فى حق الجار أشنع ؛ قال لأصحابه : « ما تقولون فى الزنا ؟ » قالوا : حرام حرمه اللّه ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة ، فقال رسول اللّه ﷺ : « لأن يزنى الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزنى بامرأة جاره » ، ثم قال: « ما تقولون فى السرقة ؟ » قالوا: حرام حرّمها اللّه ورسوله فهى حرام إلى يوم القيامة ، فقال ﷺ : « لأن يسرق الرجل من عشر أبيات أيسر عليه من أن يسرق من بيت جاره »(١) .

وقال أيضا : « واللّه لا يؤمن ، واللّه لا يؤمن ، واللّه لا يؤمن ! » قيل : يا رسول اللّه ، لقد خاب وخسر من هو ؟ قال : « من لا يأمن جاره بوائقه » قالوا : وما بوائقه ؟ قال : « شره »(٢) .

وقوله ﷺ : « من آذى جاره فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى اللّه ، ومن

(١) رواه الإمام أحمد .

(٢) رواه البخارى .

حارب جاره فقد حاربنى ، ومن حاربنى فقد حارب اللّه عز وجل » (١) . حبّذا لو اقتنع كل مسلم بحقوق جاره عليه وأداها على الوجه الأكمل ، وتعهد كل قطر (٢) بجيرانه ، وحماهم ، وأعانهم فى حوائجهم لعاش العالم الإسلامى فى رخاء وهناء .

ولكن ــ ويا أسفاه ــ لا نكاد نعثر على بلد يسمح حتّى لهبوب الرياح عليه من جيرانه المسلمين ، بل ويتقوّى بأعداء الإسلام ويحتمى بهم ليرهب جيرانه وإخوانه ، ويكرّس كل شوكة ليغرسها فى أجسادهم . فإنا للّه وإنا إليه راجعون .

الاقتصادية :

أ ــ قوله ﷺ : « من كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فيلقل خيرا أو ليصمت » . واللغو والخوض فيما لا يعنى أكيد أنه من الكلام الذى يستحسن الصمت عنه ، وقد بلينا بكثرة الاجتماعات ، والقرارات ، والتوصيات ، وحرب البيانات فى الوقت الذى تعشش البوم والغربان فى المعامل ، والمصانع ، والهيئات والمؤسّسات ، فهل نفلح ــ إذا كانت كل أوقاتنا مهدورة ــ فيما سبق ــ فى تقدّمنا ونجاحنا فى تحرير العيش المرهون ؟ قال تعالى : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ** ﴾ [المؤمنون : ١ ــ ٣] .

ب ــ تصوّر معى ــ مجرد تصوّر ــ أنه لو كان ثمة تكافل فى المجتمعات الإسلامية اليوم ، يتعهّد الجار الغنى الموسر جاره الفقير المعسر ، ويمن عليه مما أغدق اللّه عليه ، فهل يبقى لهذه الطبقية المتباينة أثر ؟ كلا وربى . روى الطبرانى ــ رحمة اللّه عليه ــ عن النبى ﷺ : « ما آمن بى من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم » .

تطبيق

١ ــ لا خير فى مدنية تزاحم الحاكمية فى حواضر بعض المدن الإسلامية وتستبدل أهلها بالمروزيّين (٣) .

فأضحى الضيف نزيل الفنادق والمطاعم ، وانحسرت الضيافة على أهل القيادة وأصحاب السيادة الذين هم أغنى الناس عنها، ولكن تزيّن لهم الموائد وتصف لهم المناضد... فهل هذا من قبيل الكرم فى شىء ؟ اللهم لا ... إنه فى كثير من الأحيان التملق والتزلّف ، والمباهاة ... وانقلب أرباب الموائد طلابًا للفوائد .

---

(١) رواه أبو الشيخ .

(٢) أثناء قيام الخلافة الإسلامية أو إلى حين إقامتها بإذن اللّه تعالى .

(٣) المروزيّين : نسبة إلى مدينة « مرو » بالعراق يتهم أهلها بالبخل .

٢ ــ بلغت ديون العالم العربى فى الثمانينات من هذا القرن مائتى مليار دولار . . . فأعناقه مغلولة ترسف فى أغلال المديونية . . . بيد أن مدّخرات الأثرياء فى مصارف الغرب تجاوزت ستمائة مليار دولار !! . . . ثم هم يمنون عليك وعلى الإسلام؛ لأنهم طبعوا مصحفا وحفروا بئرا . . . . و . . . و . . . ببضعة ملايين لا تقارب معشار زكاتهم بله عن الفوائد الربوية التى يتركونها للبنوك ورعا وتقوى !!

obeikandl.com